

حكم ابتكو

د. عمر العماس

تكو إسم للطائر الصغير... الخارج من البيضة حديثاً، بعد فقسها مباشرة... وعليه فأبوه بطبيعة الحال، يعرف ب.. (أب تكو)، أو كما اعتاد الكتاب أن يكتبوه هكذا (أبتكو)... وذلك لا ينأى بعيداً عما نتداوله في لهجتنا الدارجة، السودانية القومية... أما والدته فهي أيضاً وبطبيعة الحال، السيدة المدللة (أم تكو)... أو بمثلما تكتب لدى الكثيرين (أمتكو).

الزوجان طائران عاديان... من أصل واحد، أي نوع معين من أنواع الطيور المتعددة... جمع فيما بينهما عش الزوجية، وكما أسلفنا ذكره، يعرف تكو أيضاً بأنه (الفرخ)، أو الطائر حديث الخروج من البيضة.

من الطبيعي فإن كل المخلوقات الحية... وعلى اختلاف أجناسها، وأشكالها، وأحجامها، وقدراتها، وميزاتها الخاصة، سوى أن كانت جسمانية ظاهرة، أو تكوينات داخلية، تتمثل في أنواع الأجهزة المتعددة، التي تدير دفعة الحياة لديها فإنها تهفو وتتوق، لإقامة وتجهيز عش الزوجية... بحسب طبيعة حياتها.

أما (أبتكو) و(أمتكو) فقد اختارا تجهيز ذلك العش، في جزوع الأشجار أو في الفروع الغليظة الثابتة، التي يضمنان فيها بقاء العش آمناً، في ظل الظروف الطبيعية... التي تؤثر في تحريك الأشجار واهتزازها.

لقد أعتدنا أن نرى الزوجين من الطيور... القيام بجمع الأوشاب، والقش الناشف والأخضر، وبعضاً من قطع (العيدان) الصغيرة الهينة، في تفاني تام... لبناء العش، بطريقة هندسية بارعة... والاهتمام بتأمينه من سطوة الأعداء، ومن شراسة الظروف الطبيعية كالرياح والأمطار... وكذلك تأمينه من السقوط أو الزوال... يتم إنشاء العش في مناطق يريان أنها محمية وأكثر أماناً من غيرها... حيث تطمئن الأنثى عند وضع بيضها، الذي ستقوم بحضنه، لينعم بتدفئة طبيعية... تحت درجات حرارة

ربانية محددة... حتى يتم ففسه... ومن ثم تقوم برعاية صغارها رعاية تامة، مؤمنة لها المأكّل، والمشرب، والحماية، حتى تقوى الصغار على الوقوف، ثم المشي، فالطيران... يتم كل ذلك في تدرج محسوب... يساعد أثناءه الأب كثيراً، في جلب المواد الغذائية لصغاره، جنباً إلى جنب مع الأم...

تنتهي مهمة العش... مع وصول الصغار لمرحلة الاعتماد على النفس، وقد يبدأ حينها الزوجان في تشييد عش آخر... عندما تحين مرحلة وضع البيض للمرة الثانية... وهكذا تدور الحال.

بعض الطيور تهاجر من موطن لآخر... حسب نوع المناخ الذي يتواءم وحاجاتها الحياتية... فطائر (الرهو) وطائر (السمبر) المألوف لدينا في السودان... تصل أسرابهما للسودان عند بداية فصل الخريف، حيث تقل كمية مياه الأمطار في مناطق الهجرة لدينا، عما هو موجود في موطنها الأصلي... حيث تتم عمليات التزاوج في أرض المهجر هذي... فتبدأ في إنشاء أعشاشها، استعداداً لاستقبال البيض فيها... وهكذا تتنوع الاستعدادات والأفعال المتباينة... بين أنواع الطيور المختلفة.

علنا ندرك ذلك تماماً... إن تابعنا تلك النشاطات لدى (أبتكو) و(أمتكو)، ف..(أبتكو) لا يؤمن إطلاقاً بالجندرة... وعنده هو وحسب ثقافته، أنّ (أمتكو) (لو فاس ما بتقطع الراس)... وفي شرعتو هي دائماً تابع ولا تُتبع... وكمان هي مأمورة ولا تأمر... استقى كل ذلك من أسلافه ومما تعكسه تصرفات وسلوكيات (أمات تكو)... التي تتميز ب..(قوة الراس، وعدم الطاعة، وعصيان الأوامر، كما أنهن لا يقمن بعمل شيء حتى ولو كان يخصهن، إلا باستخدام القوة والعنف معهن).

عليه نرى في بعض الحالات... أن تصرفات أبتكو مع زوجته، تتميز بالفظاظة واستخدام العنف المؤذي معها... حتي يستطيع أن يجعل حياتهما تسير إلى الأمام... وبعد وقوع مثل هذه التصرفات المؤلمة من (أبتكو) نجد أنّ (أمتكو) (تسكت وتخضع.. لكنها لا راضية ولا مرضية، بس تحس أنها أكملت المهمة الموكولة إليها، بنجاح تام).

يتمتع (أبتكو) بمنقار قوي كالمنجل... حاد عند نهايته... فيقصد (أبتكو) جذوع الأشجار القوية... ويتخير أقواها وأمتها وأصلبها عوداً... ويبدأ ينخر في جزء منها مثلما يفعل النجار بالقدوم... يظل ينحت ويقطع وينخر، لفترات طويلة ومرهقة... حتى يصل إلى تكوين عش لا يتشابه وأعشاش الطيور العادية... غير أنه يفرش علي أرضيته بعضاً من الأعشاب الرقيقة... لتكوّن بساطاً مريحاً لاستقبال البيض... الذي تقوم بوضعه (أمتكو) في الوقت المحدد...

يستمر وضع البيض... حتى وضع آخر بيضة، ومن البديهي سيأتي دور (أمتكو) لتركض على البيض... أي تقوم بحضنه، حتى يؤمن الزوجان سلامته، وفقسه في نهاية المطاف... إلا أن (أمتكو) ترفض هذه الحركات البدائية غير المتحضرة...

يبدو لي أنها تتنمر... وتخاطب (أبتكو) وهي غازة جناحيها في وسطها وتقول:

(خليه كدا الشمس بتنجضو)...

لكن ابتكو وبطبعه الذي أظهرنا من قبل... لا يرضى بمثل هذه التصرفات، وبمثل هذي الحركات الحنكوشية، ولا يؤمن إلا بما تمليه عليه ثقافته، وما ترتضيه عاداته وتقاليده، وإلا فإنه سيصبح (دلدول وبس) في نظر القبيلة...

استمر (أبتكو) في إقناع زوجته الغالية... بالمثل لرأيه، وتنفيذ أمره (بالتي هي أحسن)، إلا أنها، وكما يبدو لي، تذرعت بما يلي:

(السخانة الشديدة في داخل العش.. كما أن هذا العش يعتبر سكناً غير صحي، وغير شرعي في نفس الوقت .. ولا يليق بمقامها كزوجة)..

(يظهر أن (أمتكو) دي بتاعة جندرة تمام)...

هنا اشتط غضب (أبتكو)، و(طقطق منقاره كم مرة كدا... وحمرت
عيونو المدورة...وبقت زي الشرارة... وبدا يحمر ليها شديد... وعلا
نفسو، وبقي يتقابض.. وانتفخت أوداجه، وبقت زي نفاخات الحلب...
ونفش ريشو وبقي زي الهنود الحمر بالضبط...

هنا وفي ظل هذا الهيجان المرعب... هجم بكل ما أوتي من قوة على
(أمتكو)... وحشرها داخل العش... مكسورة خاطر، لا تمتلك من القوة
والشدة ما يوقفها أمامه، مدافعة عن حقوقها المسلوبة... أو أن تقتص لما
نالها منها... ف..(دنقرت)، ونظرت لبيضاها الذي تناثر على أرضية العش
...وبدأت تجمع فيما بينه... (بيضة بيضة)، مستخدمة منقارها، ثم انكفأت
عليه غاضبة مهينة... لا تستطيع أن تلقي نظرة ولو خاطفة على
(أبتكو)...

في قمة غضب (أبتكو) وهيجانو... بدأ ينتف في ريش أجنحة (أم
تكو)، بعنف لم يسبق له مثيل... واستمر في النتف دون توقف... رغم
صياحها من ألم الجراح الناتجة عن النتف...حتى نتف آخر الريشات،
وأصبحت عارية وكأنها فرخ حديث الخروج من البيضة أتخيله مهمم
وقال: (بت الكلب)...

كل ذلك ليسلم (أبتكو) من العار... ويقوي موقفه ويدعمه بين أفراد
قبيلته... ظل مهموماً ومهووساً، بتغذية (أمتكو) ورعايتها وحراستها
طيلة فترة الحضانة... التي تنتهي بنهاية فقس جميع البيض... وترجل
الصغار عن العش... وهم قادرون على ممارسة نشاطاتهم الحياتية.

أصبحت (أمتكو) في موقف لا تحسد عليه... إذ أنه أصبح لزاماً عليها
حضان البيض... مستعينةً ببقايا ريشها الناعم المبعثر على جسدها... كما
أنها في ذات الوقت لا تستطيع الطيران فتهرب... ولا هي تستطيع المشي
في ذلك المكان العالي البعيد عن الأرض... ثم أنها وإن استطاعت النزول
إلى الأرض... في غفلة ذلك الحارس اللعين (أبتكو)... فإنها لن تستطيع
ممارسة حياتها العادية، بين رفيقاتها وأهلها... إذ أنها أصبحت مهينة
الجناح...ومكسورة خاطر.

هكذا ملكنا (أبتكو) قانوناً... يحكم به، لا أظنه يتشابه أو يتقارب مع قانون حكم قرقوش المعروف.

من العجيب في الأمر فإنّ العلاقة الطيبة ما بين (أبتكو) و(أمتكو)... تبدأ من جديد، بعد إكمال مهام تلك الحقبة من الحياة الزوجية... تسير الأمور على ما يرام... وتبدأ محنة التزاوج من جديد... فلا (أمتكو) ثابت، ولا (أبتكو) أنهى حياته معها بالطلاق البائن... إنّ لله في خلقه شؤون.

www.omerelammas.com

www.omerelammas.com